Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات

Volume 9 | Issue 1 Article 1

2008

Qustaki Al-Homsi and Pioneering the Historical Approach in Modern Arab Criticism

Ahmed Al-Aroud
Jerash University, Jordan, AhmedAroud@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu

Part of the Arabic Studies Commons, and the Social and Behavioral Sciences Commons

Recommended Citation

Al-Aroud, Ahmed (2008) "Qustaki Al-Homsi and Pioneering the Historical Approach in Modern Arab Criticism," *Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات*: Vol. 9 : Iss. 1 , Article 1.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jpu/vol9/iss1/1

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jerash for Research and Studies Journal مجلة جرش للبحوث والدراسات by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

جرش للبحوث والدراسات، المجلد التاسع، العدد الأول ٢٠٠٤م

قسطاكي الحمصي
وريادة المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث

الدكتور أحمد ياسين العرود❖

تاريخ تقديم البحث : ٢٠٠٤/١٢/٢٢ تاريخ قبوله للنشر : ٢٠٠٦/٤/١٦

Abstract

This study provides a clarification of the role of Kistaki AL - Hemsi. (1858-1941) ,in the process of the modern Arabic criticism discourse, in terms of the change in the nature of the discourse , to wards the European criticism discourse, on one side ,and the pioneer ship in the historical approach in the modern Arab criticism on the other side

The researcher views that AL- Hemsi proceeded Ahmad Daif (1880 -1945), and Taha Hussein (1889 -1973), in exploiting this approach , in his critical studies.

الملخص

ينهض هذا البحث ببيان دور قسطاكي الحمصي (١٨٥٨ - ١٩٤١) في مسيرة الخطاب النقدي العربي الحديث، من حيث التحوّل في طبيعة هذا الخطاب، نحو الخطاب النقدي الأوروبي من جانب، وريادة المنهج التاريخي في الخطاب النقدي العربي الحديث من جانب آخر، حيث يرى الدارس الحالي، أن الحمصي قد سبق أحمد ضيف (١٨٨٠ - ١٩٤٦)، وطه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) في مصر، في توظيف هذا المنهج في دراساتهم النقديّة.

❖ أستاذ مساعد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية / جامعة جرش / الأردن

قسطاكي الحمصي وريادة المنهج التاريخي في الخطاب النقدي العربي الحديث

مما لا شك فيه أن القرن التاسع عشر شكل مرحلة مهمة في تاريخ الفكر العربي الحديث، حيث تمخض عن ولادة التحولات الفكرية والاجتماعية التي شكلت فيما بعد، المسارات المعرفية والثقافية في القرن العشرين، فقد كانت حملة نابليون على مصر نقطة صدام حضاري قبل أن تكون نقطة صدام عسكري، حيث فشلت هذه الحملة عسكرياً لكنها نجحت ثقافياً، فعملت على مد الجسور الثقافية بين الغرب والشرق، فبعد هذه الحملة توجه العربي المسلم والمسيحي في فكره نحو الآخر الأوروبي خاصة (الفرنسي) من أجل التواصل والتأثر والاقتباس، وقد كان ذلك على المستويين الرسمي كما هو في مصر والشخصي كما هو في بلاد الشام.

ففي مصر عمل محمد علي باشا، على تحديث العقلية المصرية من خلال التواصل مع الغرب، والاستفادة منه وتقليده، فيما لدية من أفكار: سياسية ،واجتماعية، واقتصادية، وقد تمثل ذلك في صورة البعثات التي أوفدها إلى فرنسا لأغراض متعددة، وما نجم عن ذلك من اطروحات فكرية جديدة حملها هؤلاء المبعوثون، فألفوا الكتب، وأنشأوا الصحف، والمجلات،التي حملت في طياتها روح التحول والجدة في مسارات: التفكير، والحقل المعرفي، والثقافي" حيث جرت هذه التجديدات في أسس، وهياكل المجتمع،فجاءت الفنون والأجناس الأدبية الجديدة، جاءت الرواية، والمسرح والقصة القصيرة، والفنون التشكيليّة وحركة تجديد الشعر، وخلال ذلك كلّه، كانت اللغة العربية تنهض وتجدد نفسها لتتنفس هواء الجديد، هواء العصر، فتغيّر دلالاتها، وتزداد وتغتني مفرداتها، ويتغيّر تركيب وبناء جملتها، وبعبارة تلخيصيّة بدأ كل شيء وكأنه يتغيّر ونحو الأمام بل ونحو الأفضل"[١]

كان من أشهر هؤلاء رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١- ١٨٧٣) في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) وعلي مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣) في كتابه (علم الدين) ومحمد المويلحي (١٨٥٨-١٩٣٠) في كتابه (حديث عيسى بن هشام) وقاسم أمين(١٨٤٩-١٩٠٥) في مؤلفاته وأشهرها (المرأة الجديدة) وجمال الدين الأفغاني (١٨٣٨ -١٨٩٧) وتلميذه محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥) في مقالاته.

أما في بلاد المغرب فقد ظهر (خير الدين التونسي) في كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك (١٨٦٧) وعبد الحميد بن باديس (١٨٨٩- ١٩٤٠) في آرائه؛ الدينية والاجتماعية والسياسية.

أما في بلاد الشام فقد ظهر عبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤- ١٩٠٢) في مؤلفاته وأشهرها (طبائع الاستبداد)، وفرنسيس فتح الله مراش(١٨٣٦-١٨٧٣) في كتابيه (غابة الحق، ورحلة باريس) وشبلي شميل (١٨٥٠-١٩١٧) في مقالاته (مباحث علمية واجتماعية) وفرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢) في رواياته ومقالاته التي كان ينشرها في مجلته التي أنشأها باسم مجلة الجامعة (١٩٠٦)، ومارون نقاش (١٨١٧-١٨٥٥) وأبو خليل القباني (١٨٣٣-١٩٠٣) في أعمالهم المسرحية، وأحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٨) في كتابه المشهور(كشف المخبأ عن فنون أوروبا) وجبران خليل جبران (١٨٨٣ -١٩٣١) في أعماله الشعرية والنثرية.

أما في مجال النقد، فقد ظهرت مؤلفات عملت على تأسيس للنظرية النقدية الحديثة في النقد العربي الحديث، حيث تأثرت الغرب، وعملت على استقدام المفاهيم النقدية الغربية، التي أصبحت فيما بعد تعرف بالمناهج النقدية، ولعل أشهر هؤلاء: سليمان البستاني (١٨٥٦-١٩٢٥) في مقدمته

لترجمة الإلياذة، ومحمد روحي الخالدي (١٨٦٤-١٩١٣) في كتابه (تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو)، وقسطاكي الحمصي (١٨٥٨-١٩٤١) في كتابه (منهل الو راد في علم الانتقاد)، موضوع هذه الدراسة.

ولد قسطا كي الحمصي في مدينة حلب السورية (١٨٥٨) ووالده "يوسف بن بطرس الحمصي"، من أرباب البيوت التجارية الغنية في حلب، وأمه "سوسان بنت عبد الله الدلال، من أسرة الدلال العريقة في العلم والأدب، لقب بالحمصي، لأن أصله من حمص، والمرويات تفيد أن جده الخوري إبراهيم، هاجر من حمص إلى حلب في النصف الأول من القرن السادس عشر للميلاد، فلزمته النسبة إلى حمص ولزمت سلالته من بعده.

تعلم قسطاكي الحمصي في إحدى كتاتيب الروم الكاثوليك بمدرسة الرهبان الفرنسيسكان، ثم انتقل في الحادية عشرة ليدرس الإيطالية والفرنسية والنحو في مدرسة رهبان مار فرنسيس، نظم الشعر في الثالثة عشرة من عمره، وكان شغوفاً بالمطالعة، وسافر كثيراً بين سورية ولبنان ومصر واستنبول وفرنسا، إذ كان لذلك أثر كبير في معرفته العلمية والفكرية، كان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، أسرة الحمصي، فرنسيةالاصل، جدها "بييرده لاماس" Pierre de la Masse المكنى بمسعد من الصليبيين، له عدة مؤلفات من أشهرها كتاب "منهل الوراد في علم الانتقاد" (هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء، صدر الجزآن الأول و الثاني في عام (١٩٠٧) عن مطبعة الأخبار بالفجالة في مصر، أما الثالث فقد صدر عن مطبعة العصر الجديد في حلب (١٩٣٥)٢، ومن أجل وقوف القارئ على مجمل الكتاب، يرى الدارس أن يقوم بعرض موضوعات الكتاب دون تفصيل، حيث سيتم الإشارة إلى التفصيلات في متن الحديث في الموضوعات المثارة في الدراسة.

جاء الجزء الأول من الكتاب في مقدمة(٣) وقسمين، الأول:عرض فيه تاريخ النقد عند العرب والأمم الأخرى في القديم والحديث، وبحث موضوع النقد بعدّه علماً له قواعده، وأصوله، ثم ذكر أركان النقد، وهي النسبة، وصدق الإرادة (٤)، أما القسم الثاني : فقد خصصه لقواعد الانتقاد، وهي : الشرح، والتبويب، والحكم، ثم تحدث عن رتب الشعر وطبقاته، والموازنات الشعرية(٥).

أما الجزء الثاني: فيستمر فيه الحديث عن الموازنات الشعرية(٦)، ثم القواعد الخمسة في النقد وهي :نقد القول المصنوع،نقد القائل والصانع،نقد المقول فيه والمحكي عنه،نقد الزمان، نقد المكان (٧) ثم شروط الناقد، ثم فوائد النقد(٨)، وبعد ذلك تأتي خاتمة الكتاب.

أما الجزء الثالث، الذي صدر عام (١٩٣٥)، فقد أعاد فيه الحديث عما طرحه في السابق، حول مفهوم الأدب، والنقد والناقد، وأضاف إلى ذلك الحديث عن الروايات، ومراتب المؤلفين، ثم ختم الجزء بموازنة بين الألعوبة الإلهية لدانتي ورسالة الغفران للمعري.

تنطلق هذه الدراسة من فرضية الريادة لدى قسطاكي الحمصي في محاولة توظيف المنهج التاريخي في النقد العربي الحديث، حيث جسدت الرؤيا التاريخية جل الطروحات التي قدمها في مؤلفه

المذكور، على الرغم من أنه قدم دراسة مقارنة تحسب له، بين "رسالة الغفران" للمعري" والألعوبة الإلهية" لدانتي" مما دفع بعض الدارسين إلى عدة ناقداً مقارناً *.

لكن الدارس الحالي يرى أن المنهج المقارن في النقد لم يكن ديدن الحمصي لأكثر من سبب، منها: أن الدراسة جاءت في الجزء الثالث من كتابة، وكان ذلك عام (١٩٣٥)، وجاءت في آخر الكتاب، بعدما كان قد أعاد فيما قبلها الآراء التي قدمها عن جوهر المنهج التاريخي في الجزأين الأول والثاني (١٩٠٧)، فضلاً عن أن المنهج المقارن كان في الثلاثينيات- زمن تأليف الحمصي للجزء الثالث من كتابه - قد انتشر على يد أكثر من دارس، ولم يعد هناك بحث عن ريادة في هذا المنهج.

لقد رأى بعض الدارسين أن كتاب "منهل الوراد في علم الانتقاد" هو أول كتاب نقدي في النقد الأدبي العربي في العصر الحديث، وعدّوه وجهاً جديداً من وجوه النقد، ووضعاً للأدب على محك القيم الجديدة، وهو أرقى ما وصلت إليه المحاولات الرائدة في التجديد في النقد الأدبي الحديث(٩)، بينما يرى آخرون أن دور الحمصي لا يتعدى مرحلة التوسط بين النقد العربي الحديث والنقد الأوروبي "الفرنسي" في مطلع القرن العشرين، وأن المنهج التاريخي أو ما يسمى اللانسونية جاءت ريادته عن طريق "أحمد ضيف" في مصر (١٨٨٠-١٩٤٥) (١٠).

إن الدراسة المتأنية والمتفحصة لكتاب "منهل الوراد في علم الانتقاد" للحمصي، لا تدع الدارس المنصف أن يتجاوز الدور الريادي لهذا العمل النقدي الهام في مسيرة النقد العربي عامة، ومسيرة التحول واسترفاد المناهج النقدية خاصة، فجل الكتاب يخرج من فكرة البحث عن روح جديدة للنقد العربي، تعتمد العلمية الموضوعية في تقييم النصوص، بل هو دعوة صريحة ومباشرة لإعادة النظر في طبيعة ومفهوم النقد عند العرب، كما سيتضح في هذه الدراسة ولا يمكن أن نعدّ هذه الدراسة- كتاب الحمصي- غير بحث عن منهج، وهذا المنهج هو المنهج التاريخي الذي كان سائداً في أوروبا في ذلك الوقت.ولعل هذا ما دفع الدكتور عبد الله الشحّام في دراسته " قسطاكي الحمصي ناقداً " إلى القول ": إن قسطاكي الحمصي كان يصدر عن نظريّة الحتميّة الجغرافيّة Geographical determi-nism، وخلاصتها أن البيئة لها أثرها الحتمي في الكائن الحي / الإنسان "١١

لقد جاء كتاب "منهل الوراد في علم الانتقاد" للحمصي ثمرة للمعرفة التي حصلها الحمصي من خلال مطالعاته في التاريخ الأدبي العربي والغربي، حيث وجد أن النقد العربي يفتقد الروح المنهجية في التأليف النقدي، وأن حضور المنهج النقدي الغربي وخاصة الفرنسي مفقود، في هذا النقد، من هنا فقد عمل على تأليف كتاب يعتمد في أساسه المرجعية الغربية خاصة الفرنسية منها، يقول :"وإني لم أزل منذ ستة عشر عاماً أتتبع سير هذا الفن الجليل، مكباً على مطالعة كتب أئمته من الفرنسيين، أصحاب الباع الطويل، حتى صار ذلك هوى النفس، لا تنزع إلاّ اليه، وشاغل الطرف لا يحب أن يقع إلا عليه، وفي خلال ذلك كنت أقلب القديم والحديث من كتب العرب، لعلي أظفر بشئ مترجم عن اليونان، أو بكنز فكر في بعض الزوايا احتجب فلم أفز بالضالة المنشودة"(١٢).

وتأكيداً على صورة هذه المرجعية الغربية للخطاب النقدي عند الحمصي، فقد بين مصادر كتابة هذا، وهي مصادر معرفية فرنسية، يقول:"وقد قسمت الكتاب إلى قسمين. كسرت القسم الأول منه على تاريخ النقد وموضوعه، والقسم الثاني على قواعده وفروعه. وجل ما كتبته من تاريخ النقد، عند

سائر الأمم، في الفصلين الثاني والثالث وبعض الرابع، استقدمته من كتاب موسوعات العلوم الكبيرة الفرنسوية فهي حجة بلا منازع، وما سوى ذلك فهو بضاعة القريحة العديمة ونتيجة الفكرة العقيمة"(١٣).

يأتي الخطاب النقدي لدى قسطاكي الحمصي (١٨٥٨-١٩٤١) في إطار حركة التحولات المعرفية المختلفة، التي مست العقل العربي منذ بداية ما يسمى "عصر النهضة"* (حيث واجه هذا العقل تحديات متكررة في شتى المجالات المعرفية، ومنها المعرفة النقدية في قراءة النصوص الإبداعية، والبحث عن القيم الجمالية التي يختزنها النص، ويرغب الناقد وصولها، بطريقة تعتمد الجانب الموضوعي في التقييم والتفسير.

لقد سار الخطاب النقدي لدى الحمصي في اتجاه التحول عن الموروث النقدي العربي، والتعلق في إطار الخطاب النقدي الوافد"الأوروبي" رغبة منه في محاولة التأسيس، والريادة لمفاهيم نقدية جديدة، تضع الناقد في إطار الموضوعية العلمية، والمعيارية القيميّة التي يعتمدها الناقد للحدّ من ذاتيته، وذوقيّته الطاغية، وتؤدي في النهاية إلى المنهجية المعتمدة في تقييم النصوص.

من هنا فقد دعا الحمصي إلى التجاوز لما هو موجود من صورة للنقد القديم، حيث يصبح هذا التجاوز منفذاً جديداً لتغيير صورة النقد، وبالتالي تغير صورة العلاقة بين النص والمتلقي، يقول :" اعلم أن النقد لم ينتشر لعصرنا هذا الانتشار، ولم يبلغ هذا المبلغ من الكمال، إلا بعد أن انحل من قيود التقليد القديم،وتحرر من تقليد علماء الانبعاث، وعصى ما رسمه علماء القرن السادس عشر من تقاليدهم، واعتبارهم نقد أصل اللغات كمالَ النقد ومنتهى غايته "١٤

إن عرض الحمصي صورة التجاوز التي قام بها الأوروبيون للنقد الموروث لديهم، كان هدفها الأول؛ بيان سبب نجاح حركة النقد الأوروبي في تلك الفترة، وتحول هذا النقد إلى جزء من الحركة العلمية والفلسفية لديهم، وأن النقد لدى العرب لا يمكنه التحول إلا في إطار التجاوز لما هو موروث، وأن على النقاد العرب أن يفعلوا كما فعل ديكارت Descartes وباسكال Pascal وغيرهم من ثورتهم على القديم.

يقول :"وكانت تلك القواعد – أي تقليد عظماء الكتاب بأخذ ما استحسن منهم مع تبديل الموضوعات – كل علم النقد عندهم، وكان لقدمها اعتبار ما بعده غاية لمتطلع ونصيب من يشذ عنها الخذلان، ولو جاء بفصاحة سحبان، وكانوا يعدون من لم يخضع لأحكامها خارجياً قد أتى شيئاً فرياً، يضع من كرامة القديم ،وكل ما به من جلال وسر عظيم، بيد أنه لم ينته ذلك القرن،حتى قام ديكارت وباسكال، فخرقا حجاب ذلك الاحترام للكتب القديمة، ومهّدا بذلك السبيل للاستفهام عن أساس تلك القواعد، ومنزلتها من الصواب، وهل أن مزيتها الوحيدة كونها قد محصها القدماء ؟ أو ليس في الامكان وضع هذه القواعد على أساس أشد ثباتاً ؟ "١٥

لم يكن هذا التحول نحو تغيير صورة النقد العربي الحديث في بدايات عصر النهضة عند الحمصي فقط، بل مثّل هذا المشروع النقدي المتحول في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجموعة من النقاد كانوا "بمثابة مراكز تحويلية في تطوره، ومنهم سليمان البستاني (١٨٥٦-١٩٢٥) في مقدمة ترجمته للإلياذة" (١٩٠٣) إذ جاءت هذه المقدمة – في مائتي صفحة – صورة بحثية دقيقة في المقارنة بين الأدبين العربي والإفرنجي، وعدت من أوائل الدراسات المقارنة في الأدب العربي

الحديث، لما حاولته من توظيف المصطلح والمفهوم المتميز لموضوع الدراسة(١٦)، ومحمد روحي الخالدي (١٨٦٤-١٩١٣) في كتابه "تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوغو" (١٩٠٤)، حيث جاء هذا الكتاب صورة عميقة في التحول النقدي العربي في تلك الفترة، من خلال البحث عن العلاقة بين الأدب العربي من جانب والإفرنجي من جانب آخر، ودور الشاعر الفرنسي الكبير "فيكتور هوغو" في تحول صورة الأدب الفرنسي، كما أشار المؤلف نفسه إلى ذلك، إذ يقول في تصدير الكتاب :"وهو يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الأدب عند الإفرنج وما يقابله من ذلك عند العرب إبان تمدنهم إلى عصورهم الوسطى، وما اقتبسه الإفرنج عنهم من الأدب والشعر في نهضتهم الأخيرة وخصوصاً على يد فيكتور هوغو، ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف ووصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته وغير ذلك(١٧) و "منهل الوراد في علم الانتقاد" لقسطاكي الحمصي (١٨٥٨-١٩٤١)، حيث صدر الجزء الأول والثاني (١٩٠٧) والجزء الثالث (١٩٣٥) كما ذكر سابقاً، ثم استمر هذا المشروع المتحوّل في نقد "طه حسين" و "أحمد ضيف" ومدرسة الديوان "فيما بعد.

لقد انعكست المرجعية التي اعتمدها الحمصي في تأليفه هذا الكتاب، على طبيعة المفاهيم والمصطلحات التي حاول توظيفها في بيان رؤيته طبيعة النقد والأدب، و دور الناقد، والممارسة النقدية التي ترى أن "الحتمية التاريخية Historical Determinism"، أو ما يسمى بالمنهج التاريخي Ap- Historical proach، هي الأساس في قراءة النصوص.

إن مفهوم النقد أصبح لدى الحمصي علماً له قواعده وأسسه، التي يعتمدها في الوصول إلى الحقائق المنطقية والصورة الحقيقية للأشياء، فهو بحث عن حقيقة الفكرة ومدى مطابقتها للواقع، يقول :"وموضوع علم النقد وقواعده أصيلة، وهي مقررة عند جميع أمم الأرض كسائر قواعد العلوم العقلية وموضوعاتها، لا تختلف إلا في الفروع"(١٨).

إن محاولة الحمصي دمج النقد الأدبي في إطار العلوم الأخرى، وإقامة صورة مشتركة بينهما، هي في الواقع فكرة المنهج التاريخي، الذي ساد في أوربة وخاصة فرنسا في القرن التاسع عشر، حيث كان البحث في الأثر المتبادل بين المبدع والنص، والمجتمع، خاصة ما تحدثت فيه " مدام دوستا يل madam De Stael (١٧٦٦-١٨١٧) عن الأدب وعلاقته بالمؤسسة الاجتماعية ضمن كتابها الذي يحمل العنوان نفسه، ثم تبعها "تين" Taine بنظريته الشهيرة، التي تمثل المجتمع بعناصرها الثلاث، وفي بداية القرن العشرين تساءل لانسون عن علاقة تاريخ الأدب بعلم الاجتماع، في محاضرة ألقاها سنة ١٩٠٤، بطلب من زميله عالم الاجتماع الشهير "إميل دوركايم Email Dorkime"(١٩).

لعل مفهوم النقد الأدبي، الذي أصبح يعني لدى الحمصي في غرضه الأول، البحث فيما له علاقة بالنفس والحس الإنساني، من خلال تحليل الكلام، وربط ذلك بتغير الظروف، جعل الحمصي يؤمن بعملية النقد، التي تقوم على الحقائق، وأن النقد ليس مقصوراً على البحث في الجانب البلاغي، أو البياني، يقول:"وهو لا يتعرض - يعني الناقد- في الغالب لمنزلة إنشاء الكاتب من البلاغة، ولا سيما إذا كان من ذوي الشهرة في علم الأدب، ولا لإطالة الجمل أو اختصارها، ولا لأغلاطه، إن كان ثمة أغلاط، فهذه كلها من باب النقد العلمي والبياني، وقد يجمل ذلك كله ببضعة أسطر، ينبه المطالع على ما كان يليق أن يكتب في ذلك الباب، وعلى أنه - أي الناقد- لم يفته ذلك، لأن الغرض الأول من النقد الأدبي

هو البحث عن المعاني، وحقائق الرواية، أو ما يلبسها ثوب الحقيقة وهي أفعال النفس، وآثار الحس في الإنسان كما تقدم القول، خدمة لعلم النفس"(٢٠).

لقد بدأت رؤيا الحمصي لعلمية النقد من العنوان الذي اختاره لمؤلفة "منهل الوراد في علم الانتقاد" ولعل هذا الاتجاه نحو العلمية للنقد، كان تمهيداً للبحث عن طريقة للنقد يعتمدها الناقد في ممارسته النقدية، أو ما أصبح يعرف بالمناهج النقدية، ومن أجل الوصول إلى هذه العلميّة، فقد قسم النقد ثلاث درجات، هي الشرح، التبويب، الحكم(٢١)، ثم قسم الحكم خمس درجات هي : نقد القول المصنوع، نقد القائل والصانع، نقد المقول فيه والمحكي عنه، ونقد الزمان، ونقد المكان(٢٢)، وهذه في جوهرها فكرة المنهج التاريخي كما هو معلوم.

إن الحمصي لم يقف في مفهومه للنقد عند العلمية، بل وضع النقد أيضاً في إطار الفن، لما لهذا المفهوم من علاقة مع مفهوم آخر هو الذوق، يقول :"وهنا لا بد لي من أن أقص على القارئ ما دهاني من الحيرة والاضطراب، عند أخذي القلم لتأليف هذا الكتاب، إذ كل ما كنت اطلعت عليه، من كتب هذا الفن في اللغة الفرنسوية لا ينطبق على ما عقدت عليه النية، إلا من وجه خفي إجمالي، وطرف ذهني، خيالي، فإن جميع ما قرأته لجهابذة هذا الفن المشهورين، مثل "سنت بوف (St.boeuve) ١٨٠٤-١٨٦٩ ورينان (Renan) ١٨٢٣-١٨٩٢ وتين (Taine) ١٨٢٨-١٨٩٣ وفردينان برونتيير (F.Brunetiere)،١٨٤٩-١٩٠٧ وأميل فاجه (E.Faguet) وجول لوميتير (Jules Lemahtre) ١٨٥٣-١٩١٤ وأدلف بريسون (A. Brihsson) وغيرهم من المعاصرين،لا يتعدى نقد مؤلفات ومصنوعات ومؤلفين ومتفننين، فيما أن الغرض الذي كنت أرمي إليه والمنهل الذي كنت أحوم عليه هو وضع كتاب في قواعد هذا الفن"(٢٣).

وإحساسا من الحمصي في جدة هذا المفهوم، (الفن)، فقد عمل على توضيحه وبيَّن إذا كان الشعر والكتابة من ذلك، يقول:"والمتفننون جمع متفنن وهذا اللفظ هو تعريب كلمة Artirtes الفرنسويّة والمتفننون هم أهل الفنون الجميلة أو الصناعات الجميلة، وهي بالفرنسوية Bean Arts وهذه الصناعات، هي الهندسة والتصوير، والنقش، والحفر، والموسيقى، والتمثيل في الملاعب، أما الشعر والكتابة، والخطابة فهي رأس الصناعات الجميلة و للبارع من هذه الفنون يقال عبقري فإذا رمت تعريب Artiste De Grand Genie قلت متفنن عبقري، قال في فقه اللغة إذا كان حاذقاً جيد الصنعة في صناعته فهو عبقري"(٢٤).

إن محاولة الحمصي تأصيل هذا المفهوم (الفن) ووجود ما يقابله في الموروث اللغوي والثقافي العربي، ينبئ بروح التوسع، التي كان يتبناها الحمصي في المفاهيم الإبداعية، والعمل على جعلها من نسيج الواقع المعرفي العربي.

إن المنطلق الذي يصدر عنه الحمصي في مفهومه للنقد بعدّه علماً وفناً، هو منطلق للبحث عن منهج واضح في قراءة النص، وبيان ما فيه من جماليات، تعتمد التعليل والتفسير المنطقي للأشياء، ومن هنا فقد نفى وجود هذا النوع من النقد عند العرب، حيث كان نفيه للمنهجية وليس للممارسة النقدية، وعدّه لديهم من الغرائز، يقول :

"لم يكن النقد من العلوم المعروفة عند العرب في عصر من العصور، ومع أن الانتقاد من الغرائز التي

عرفوا بها في كل زمن، فلم يحددوا له رسماً ولا عرفوا له اسماً ولا اشتقوا من اسمه فناً غير ما هو معلوم عندهم من نقد الدراهم أي تمييز جيدها من زيفها (...) فهذه معارضاتهم واستدراكاتهم وتعقيباتهم واعتراضاتهم وجدالاتهم ومشاحناتهم وغير ذلك مما فندوه وذيلوه وعلقوه وحشوه وزيفوه وغلطوه كلها شاهدة بما طبعوا عليه من الميل إلى الانتقاد، إلا أنه لما لم يكن عندهم علماً مقيداً بقواعد وشروط ولا فناً ذا أصول وفروع قد ضلوا في سبله وتاهوا في بواديه ومالوا مع الأهواء فزاغوا عن سواء القصد وابعدوا عنه كل البعد"(٢٥).

إن فنية النقد لدى الحمصي مع روحه العلمية هي في أساسها واحدة من منطلقات المنهج التاريخي في النقد، إذ تجعل الناقد في صورة متجردة من ذوقيّتها المفرطة غير الموجهة،وتحدّ من الميل الشخصي في قراءة النص، يقول :"إذاً لما كان الانتقاد فناً، بل من أرفع الفنون عماداً وأوسعها شعباً، وأصعبها مراساً،وأوفرها احتياجاً، إلى دقة النظر وصفاء الذهن، وفرط فهم، كان لا بد له من قواعد كلية يرجع إليها وقوانين يقف عندها، كغيره من الفنون البديعية، لا أن يترك سدى، وأحكامه فوضى لكل من تحدثه نفسه الانخراط في زمرة الناقدين فيركب رأسه، ويأتيك بالعجب العجاب من ضروب الخلط والخبط"(٢٦)

لعل هذه يذكر بقول لانسون: "منهجنا كله كما قلت يقوم على الفصل بين التأثير الشخصي والمعرفة الموضوعية التي تحد من ذلك التأثير وتراجعه وتفسره لصالحها"(٢٧).

أما دور الذوق في الممارسة النقدية لدى الحمصي، فقد عمل على توظيفه وتحديده في الوقت نفسه، يقول:"والذي يتحصل من تاريخ النقد أن موضوع أو مبدأ النقد كائن لا ريب فيه, وحقيقة لا يختلف فيها كما سيتضح لك فيما يأتي، وأنت تعلم أن الجدال في الذوق أمر شائع لاختلاف الأذواق بين جيدها وفاسد ها، ولا عبرة بقولهم المشهور لا جدال في الذوق"(٢٨).

إن تأكيد الحمصي دور الذوق في النقد يفتح بابا جديدا في النقد العربي الحديث، إذ كان هذا النقد يعيش في إطار القراءات النقدية التقليدية، التي كانت تصدر عن ذوق موروث، أطّر الإبداعات في تقييمات متوارثة، جعلت الناقد الحديث لا يعبر عن ذاته النقدية، بل يعيد ما حفظه عن سابقيه، وهذا ما عبر عنه طه حسين عندما تحدث عن البيئة النقدية في الجامعة المصرية في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين عند "سيدْ علي المر صفي" "حين كان يفسر لتلاميذه في الأزهر" ديوان الحماسة" لأبي تمام أو كتاب " الكامل" للمبرد، أو كتاب "الأمالي" لأبي علي القالي ينحو في هذا التفسير مذهب اللغويين والنقاد من قدماء المسلمين في البصرة والكوفة وبغداد، مع ميل شديد إلى النقد والغريب"(٢٩) و"حسين المر صفي" في كتابة الوسيلة الأدبية"(٣٠) وحمزة فتح الله" في كتابه "المواهب الفتحية"(٣١) "وإبراهيم اليازجي في كتابه" لغة الجرائد"(٣٢)، وغيرهم(٣٣)،ولعل عرض نماذج من نقد* هؤلاء، يضعنا أمام التحوّل الكبير في المنجز النقدي الذي قدمه الحمصي باتجاه المنهجية النقديّة الجديدة التي يمثلها المنهج التاريخي لدى الحمصي، لكن الحمصي، لم يرد لهذا الذوق أن يترك على عواهنه، بل أسنده إلى الناقد الخبير العارف فسماه ذوقاً صحيحاً(٣٤).

وإيماناً من الحمصي بوجوب ضبط الذوق والابتعاد عن الذاتية الخالصة في إطار المعرفة النقدية الملتزمة، وأن الذوق لا يكون حراً كل الحرية، ولا يكون مقيداً كل التقييد، فقد وجه نقداً حاداً إلى

برونتيير (Brunetiere)، الذي كان يطلب الخروج الكلي من الذاتية والتجرد من الأهواء، وأناتول أفرانس (Anatole France) الذي كان يرى حرية الذوق، وعدم تقييده، إذ يرى الحمصي أن ذلك غير ممكن في الحالين، يقول :"والحقيقة التي لا ريب فيها أن غاية ما يطلب من تجرد الناقد، أن يستفرغ مجهوده في موضوع نقده، ويخلي باله من كل شاغل سواه، فإن تعرض لنقد أهواء المؤلف وعواطفه فليبعد الشخص عن خاطره ما استطاع ليأمن الحيف ما استطاع أو غفلة الاسترسال إلى التقريض، وهذا كل ما يراد من تجرد الناقد، وأما أن يفهم من ذلك "خروجه عن الذاتية" كما يقول برونتيير (Brunetiere) فهذا غلو وشطط لا سبيل إليه، أو يسير في مجاهل الانتقاد وفلواته لا يتخذ له هادياً غير الشكوك كما ينسب ذلك أناتول فرانس، إلى برونتيير المتقدم الذكر، فهو ما لا يستقيم معه أمر الانتقاد ولا يصح عليه الاعتماد"(٣٥).

من الملاحظ، أن محاولة الحمصي دمج صورة العلم مع صورة الفن مع دور الذوق الصحيح كما سماه،هي محاولة للوصول إلى صورة منهجية في العملية النقدية، تمارس بعيداً قدر الإمكان عن الفوضوية في جانب، أو التقليدية الخالصة في جانب آخر، يقول:"إن أول شروط المنتقد أن يكون خبيراً فيما ينتقده، بصيراً بحسناته وعيوبه، لئلا يرسل الكلام عن مجازفة وخبط، ويخلط بين الحسنات والسيئات، متمكناً من إقامة البرهان على ما يحكم به، أو عرضه على قياس العقل والذوق الصحيح"(٣٦).

من هنا فإننا سنجد هذا الناقد يبحث علاقة الأدب في المجتمع، وعلاقة الكاتب بما كتب، وعلاقة الزمان والمكان بكل أطراف العملية النقدية، وحاول أن يبحث في مادة النقد ذاتها. وفي قواعد للانتقاد، من أجل الوصول إلى الموضوعية العلمية في النقد، وتحييد قدر الإمكان الذوقية المفرطة والفوضوية في إصدار الأحكام البعيدة عن الحقائق.ولا شك أن كل هذه المحددات للعملية النقدية هي محددات المنهج التاريخي في النقد كما هو معروف.

لقد كان الهمّ الذي يشغل بال الحمصي، هو نقل النقد العربي من الذوقي والتقليد إلى العلميّة النقدية (تحويل النقد إلى علم)، واسترفاد روح الآخر الأوروبي إلى النقد العربي، والدعوة إلى التجاوز، وإعطاء الذات المبدعة دوراً أكبر في اختيار ما يلائمها، يقول:"اعلم أن النقد لم ينتشر لعصرنا هذا الانتشار ولم يبلغ هذا المبلغ من الكمال إلا بعد أن انحل من قيود التقليد القديم"(٣٧) وليس هذا فقط، فإنه يعلل نجاح الكتاب الغربيين بكفالة النقد لهم وتخليده إياهم، يقول:"وأنت إذا أنعمت النظر في تآليف أكابر كتابهم "كرونسار"Ronsard و "دوبيلاي" du bellay و "ماليرب"malherbe و "بوالو"boileau و"فولتير" Voletir و "شاتوبريان" chateaubriaud و "هوغو" victor hugo علمت أنهم لم يصلوا المنزلة التي وصلوا إليها ولم ترج مؤلفاتهم ذلك الرواج إلا لعدولهم عن التقليد القديم وإطلاقهم العنان لقرائحهم وذوقهم في مذاهب الكتابة، فلم يكن لهم من ثمة غير النقد كافل يكفل تخليد مؤلفاتهم وشهرتهم وقد كان صواب النقد لهم سنداً وعضداً"(٣٨).

ويستمر استرفاد المنهج التاريخي وتوظيفه لدى الحمصي، في طرحه رؤيا هذا المنهج طبيعة الإبداع، ففي مفهوم الأدب ينطلق الحمصي من كون الأدب صورة لحركة الزمان والمكان، وأن الأدب هو لسان المجتمع الإنساني، حيث يصبح صورة المجتمع ظاهرة متمثلة في صورة الإبداع، الذي هو جزء من تاريخ

حركة المجتمع، وناطق بلسان الزمن الذي ظهر فيه، فهو جزء من تاريخ الحضارة، وهنا يصبح دور الناقد بحثاً عن عادات وأخلاق ومعتقدات ذلك العصر الذي ظهر فيه هذا الإبداع.

يقول:"اعلم أن القصائد القصصية المشهورة والنوادر المدهشة والحكايات والروايات لا تنحصر فوائدها في فصاحة التعبير وبلاغة السبك فقط، بل لها فوائد تاريخية فوق ذلك، فإن إلياذة هوميروس الشاعر اليوناني، ورواية هملت للشاعر شكسبير الإنجليزي ومعلقة امرىء القيس، وحكايات كليلة ودمنة وما أشبه ذلك من النظم والنثر كأنها تنطق بأفصح لسان عن زمن تأليفها، وفي كل واحدة منها إيضاح وكشف عن أحوال تلك العصور، وعوائد وأخلاق أهلها ومعتقداتهم وأزيائهم يستشفه طرف الناقد بأدنى لمح، فهي في الحقيقة تلخيص تاريخ قوم بعينهم(٣٩).

وليس هذا فقط، بل إن النص يصبح عند الحمصي في حقيقته- التي على الناقد أن يصلها- صورة صادقة تكشف الاحساسات الحقيقية لدى صاحبها، ففي نقده نماذج من الشعر القديم لأبي نواس والمتنبي يصل إلى القول:" ومن هذه الأمثلة وغيرها تعلم أن منكري حقيقة النقد ليسوا على شيء من الهدى فيه وأن المعاني ليست في صدر الناقد كما زعموا بل في قلب الكلام، طبعتها قريحة الكاتب على ألواح الصحف (...) بل إنّ إنشاء الكاتب قد يميط له الحجب عن أخلاقه وآدابه وأمياله... فكلام المرء مرآة أخلاقه "٤٠

إن هذا المفهوم للأدب يستحضر رأي أصحاب المنهج التاريخي في الأدب وعلى رأسهم لانسون إذ يقول " وأخيراً ينتهي التاريخ الأدبي بإيضاح العلاقات التي تقوم بين الأدب والحياة، وهنا يتصل الأدب بالاجتماع، فالأدب مرآة الجماعة، تلك هي حقيقة لاشك فيها، وان صدر عنها كثير من الأخطاء، الأدب يكمل صورة الهيئة الاجتماعية، إذ يعبر عن كل ما لم يمكن تحقيقه من حسرة وقلق وآمال الرجال(٤١).

لاشك، أن النصين لا يختلفان إطلاقا في جوهر الفكرة، التي ترى الأدب انعكاساً لأحوال الإنسان والزمان والمكان، أو ما يمكن تسميته " العصر " و " البيئة" بالنسبة للمنهج التاريخي.

إن الحمصي في اعتماده رأي علماء " نظرية الحتمية التاريخية Historical Determinism Thoery " التي تربط سلوك الإنسان وإنتاجه الفكري بالبيئة ومنهم : "سانت بوف" (St.boeuve) وتين"(Taine) و"برونتير"(Brunetiere) و"كوزان" Cousen و "رينان" (Renan) جعله من أوائل المفكرين العرب في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين الذين عملوا على استقدام النظريات الفلسفية، ومحاولة توظيفها في تفسير الظواهر الإبداعية، ولعل هذا ما دفع، عبد المجيد حنون للقول :"عندما نتمعن قليلاً في القواعد المقترحة - التي قدمها الحمصي- نلاحظ أن الحمصي جمعها من النقد الفرنسي الذي كانت الصحافة الفرنسية مسرحاً له في نهاية القرن التاسع عشر، فالشرح (تلخيص لتلك الرؤية العلمية في النقد التي بدأت مع "سانت بوف"(St.boeue) وتين" (Taine) "لتبلغ ذروتها مع " برونتير" (Brunetiere) والتبويب تلخيص للرؤية التاريخية في دراسة الأدب (...) التي تبلورت مع " غوستاف لانسون" أما الحكم فهو تلخيص لتلك المعركة النقدية الشهيرة بين التأثيرين والحتميين"(٤٢)

يصل الحمصي في تأصيله مفهوم الأدب- بعد أن يعرض ذلك فيما جاء في المعاجم اللغوية، وآراء الفلاسفة العرب والفرنسيين- إلى أن الأدب هو "أدب النفس فيقول: ولا نطيل بأكثر من هذا، ومما تقدم، ومن مراجعة كتب فلاسفة العرب كالفارابي، وابن سيناء، والغزالي، وابن الصائغ المشهور بابن باجة، وابن مسكوية، وابن رشد، يفهم أن لفظ أدب النفس وعلى الخصوص لفظ الأدب قد عمموه عندهم وتوسعوا فيه حتى ضارع لفظ (MORALE) الفرنسي بجميع معانيه مع المجازات، التي وضعوها له كما يفهم من عنوانات الكتب التي تقدم ذكرها إلى مئات لم نذكرها، فكل هذه الآداب فروع من علم أدب النفس، لأنه هو في الحقيقة العلم الإنساني كما قال باسكال pascal أو العلم الأكمل أو علم العلوم كما قال دالمبير(ت) Dalmbuir (٤٣).

إن محاولة التوسع في مفهوم الأدب لدى الحمصي تصدر عن رؤيا جديدة لطبيعة العملية الإبداعية، التي تختزن حركة الواقع والتاريخ في لحظة الإبداع، وقد عمم الحمصي هذه الرؤيا فيما قدم من ممارسات نقدية في كتابه هذا.

من جانب آخر فان شخصية المبدع أو ما يسمى "العبقرية" تشكل ركناً رئيساً في المنهج التاريخي، إذ تعكس هذه العبقرية قدرة الإنسان على نوع التميز، والتفوق نتيجة للبيئة والزمن، الذي تظهر فيه، وتصبح هذه العبقرية صورة للفردية الخلاقة يقول لانسون في صدد حديثه عن هذه العبقرية،: " ثم إن الخصائص التي تميز العبقرية الفردية ليست أجمل ما في تلك العبقرية وأعظمه لذاتها، بل لأنها تشمل في حناياها الحياة الجماعية لعصر أو هيئة، وترمز لها أي تمثلها. ومن ثم وجب علينا معرفة كل تلك الانسانية التي أفصحت عن نفسها خلال كبار الكتاب، كل تلك التضاريس الفكرية، أو العاطفية الإنسانية، أو القومية التي يرشدوننا إلى اتجاهاتها وقممها(٤٤).

من هنا، فقد كان لهذه الشخصية نصيب كبير في حديث الحمصي عن المنهجية النقدية الجديدة،التي تراعي ذلك، فقد أفرد فصلاً تحت عنوان " القاعدة الثانية نقد القائل والصانع " يقول "لابد للناقد من أن ينظر إن كان المنقود عمله رجلاً هو أو امرأة؟ وهل هو شاب أو كهل أو شيخ؟ وهل هو بدوي أو قروي أو حضري؟ وهل هو غني أو فقير؟ حزين أو مسرور؟ إلى غير ذلك من الأحوال التي تقدم وصفها فيما سبق من الفصول(٤٥).

لا يكتفي الحمصي بالقول فقط، بل ذهب إلى التطبيق على أكثر من مبدع، ومن هذه التطبيقات دراسته نصوصاً لعمر بن أبي ربيعة، حيث يعتمد في استنتاجاته التي يصلها شخصية عمر وحياته الخاصة ونسبه فيقول:"اعلم أن الشاعر المذكور من قريش. وقريش كما تعلم هي أشرف قبائل العرب، ولما كان اسمه عمراً، كانت كنيته أبا الخطاب على ما هو معلوم من أمر الكنى عندهم، وحنتمة أم عمر بن الخطاب هي بنت عمه، فكان فخوراً بحسبه (...) وأنت ترى مما ذكرته لك من شواهد التكرار صدق ما صورته لك من أخلاق هذا الشاعر، وهي حقيقية لا يشوبها ريب، وتكراره هذه المعاني والمناداة بكنيته، أدل دليل على مباهاته بجماله وتدلله بأصله منزلته(٤٦).

من الجوانب المهمة كما هو معروف في المنهج التاريخي "المكان" و" الزمان"،أو ما يمكن تسميته البيئة، حيث قدم قسطاكي الحمصي هذين الجانبين بمفهوم دقيق ينم عن روح علمية باحثة، فقد خصص بابا

لذلك بعنوان(٤٧) "تحديد علاقة التأليف بما كان من نوعه وبالزمان والمكان اللذين ظهر فيهما" إذ يبدأ الفصل بقوله : "اعلم أنه لابد للناقد من إنعام النظر في ذلك، إذ لكل علم علاقة مع علم آخر أو أكثر من سائر العلوم، ولكل شأن وبحث طريقة من الإنشاء وأساليب الكلام"٤٨ ثم عاد في الجزء الثاني من كتابه ليجعلهما القاعدتين: الرابعة، والخامسة، من قواعد النقد(٤٩)، وبروح المؤسس للمنهجية الجديدة ومصطلحاتها حاول الحمصي أن يوضح مصطلح البيئة- وهو الركن الرئيس في المنهج التاريخي كما هو معروف- وما يعنيه هذا الجديد يقول : "لعل هذا اللفظ - يعني البيئة - أحق من غيره بالتعبير عن معرب لفظ Milieu إذ المراد به عند الإفرنج، ليس وسط الشيء كما ظنه جمهور من المعربين عندنا، واستعملوا له هذا اللفظ، بل مرادهم بذلك : ما يحيط بالشيء أو بالإنسان من مكان وسكان : وبعبارة أخرى المكان الذي يعيش فيه الإنسان، أو الحيوان، وكل ما في المكان من الهواء والماء والسكان، وسائر المؤثرات الخارجية، ولما لم يكن عندنا لفظ يحيط بهذا المعنى،أفضل من لفظ "بيئة " فيجدر استعمالها وإطلاقها على هذا المعنى، قال في القاموس : البيئة بالكسر المكان حلّه وأقام به... والبيئة بالكسر الحالة:فقد رأيت كيف أن هذا اللفظ يشمل المكان وكل ما فيه إذ هو يعني "الحالة " أيضاً"٥٠

لم يكتف الحمصي في الجانب النظري في حديثه عن البيئة ودورها، بل قدم أكثر من دراسة في كتابه اعتمد فيها هذا المفهوم للوصول إلى نتائجه، ففي مقارنة يجريها بين المتنبي ويزيد الثقفي والشيخ ناصيف اليازجي فإنه يفسر سبب الاختلاف بين شعر هؤلاء، هو سبب اختلاف البيئة، وذلك بعد أن يوضح ملامح بيئة كل منهم فيقول : " فإذا تبصرت في كلام الشيخ ناصيف ظهر لك أنه كلام من كان في غير تينك البيئتين"٥١

وفي اعتماده البيئة في الوصول إلى نتائج قيمية للإبداع، فقد درس أدب أهل فارس، والبغداديين، فرأى أن الأول يابس وقريب من الشراسة، بينما الثاني يتصف بالدماثة ولاعتدال، وكل ذلك سببه المكان، يقول: "...فإن تأثير الإقليم كما تنفعل منها الأجسام تنفعل منه العقول حسبما هو مقرر. وأنت تعلم أن أكثر أرض فارس غير معتدلة الهواء أغلبها شديد اليبوسة في الصيف، شديد البرودة في الشتاء، وهذا يفعل تأثيره في الأمزجة (...) أما إقليم بغداد فهو أصلح منها وأوفر اعتدالاً، ولهذا تجد من الدماثة في إنشاء البغداديين، ما لا تجده في إنشاء العرب الذين نشأوا في أرض فارس، وكلما كان إقليم البلاد أقرب إلى الاعتدال، ظهرت على الإنشاء مسحة الرقة والظرف،... وحاصل الكلام، أن للزمان والمكان علاقة شديدة بالإنشاء والنظم وسائر الفنون البديعية وعلى الناقد أن يدقق البحث في ذلك"(٥٢).

وفي جانب تأكيد دور الزمن، يقول:"المراد بنقد الزمان، هو أن ينظر الناقد إلى العصر الذي ظهر فيه التأليف، أو غيره مما يجعله غرض نقده، وهذا النظر لا يجب أن يكون مقصوراً على معرفة أو تعيين السنة، بل يجب أن يشمل أربعة أقسام، الأول: التنقيب عن تأريخ الزمن الذي صنع فيه المنقود (...) والثاني: الوقوف على علوم وصناعات عصر الشيء المنقود (...) والثالث البحث عن الدولة

وحكامـهـا، وأحكامـهـا (...) والرابع: آداب ذلك العـصـر وأخـلاق أهله، ومـعـتـقـداتهم وملبـوسـاتهم، وأزيائهم(٥٣).

وبعد أن يسهب الحديث عن خصائص هذه المميزات، وآراء الفلاسفة العرب والغربيين في ذلك، يقوم بدراسة نماذج من شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم الكثير، إذ يقوّم كل واحد منهم بناء على العصر الذي ظهر فيه فيقول: "أنه لابد للشارح من النظر والبحث في تاريخ العلوم الأدبية لعهد تأليف الكتاب أو الشيء المنقود لتعلم منزلة المؤلف عنده، وهل أنه كان مبتدعاً أو مقلداً أو مجلياً أو مقصراً، إذ لكل عصر شؤون ومذاهب في العلوم وغيرها من الفنون، فما يعد عندنا مهملاً وفي عداد الخرافات كالسحر والطلسمات، قد بقي دهراً طويلاً سائداً في عقول البشر وكانت له أصول عند أكثر الأمم"(٥٤).

ومما يدل على روح المنهجية التي عمل الحمصي على استرفادها – وهي المنهجية التاريخية في النقد – فقد ختم الجزء الثاني من مؤلّفه في دراسة تطبيقية وظّف فيها هذا المنهج بكل جزئياته التي تحدث عنها في كتابه، والتي يمكن عدّها أول دراسة منهجيّة في النقد العربي الحديث وظّفت المنهج التاريخي*، حيث يمكن عدّها سابقة ما قدمه أحمد ضيف(١٨٨٠-١٩٤٥) في كتابه(مقدمة لدراسة بلاغة العرب ١٩٢١) وطه حسين(١٨٨٩-١٩٧٣)في جل كتبه خاصة كتابه(مع المتنبي١٩٣٦) في هذا المنهج،(مع مراعاة الاختلاف في القدرة على التطبيق لدى كل منهم، واتفاقهم على جوهر المنهج وأهميته في قراءة النص، من أجل التقييم المعتمد الروح العلمية والصرامة المنهجيّة، ويرى الباحث الحالي أن يعرض مجمل هذه الدراسة ليتسنّى للقارئ الإطلاع عليها

لقد انطلق الحمصي في دراسته هذه من هدف التطبيق لقواعد الانتقاد التي جاء بها من المرجعية الأوروبية كما بينت الدراسة الحالية، وهدف من خلالها تقديم منهج جديد في النقد العربي الحديث هو المنهج التاريخي Historical Approach، يقول:" فإقتداء بهم –أي أصحاب المنهجية – رأيت أن أكسر هذا الفصل على أمثولة جامع (ما تقدم بسطه في هذا الكتاب، من قواعد الانتقاد وشروطه، ليجعلها طالب العلم نموذجاً يسترشد به، وقد اخترت لذلك كلام : من تتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة والصناعة : أعني به أبا إسحاق الصابئ" ٥٥

بعد هذا يبسط الحمصي رسالة أبي اسحاق الصابئ التي كتبها إلى الصاحب أبي القاسم ابن عباد، ٥٦ ثم يبين أنه سينقدها من خلال تطبيق القواعد الثمانية التي عرضها في كتابه، من أجل الوصول إلى حكم يرتضيه على هذه الرسالة، فيقول : " فإذا قرأ هذه الرسالة من لا نظر له في فن النقد، حكم أنها من صغير إلى كبير، أو من صعلوك إلى أمير، وذلك لما تضمنته من جمل التعظيم وألفاظ التفخيم وعبارات الاستماحة، بيد أن الناقد البصير، إذا تأملها حق التأمل حكم أنها من كفؤ إلى كفؤ، وهاك إيضاح ذلك بحسب القواعد الثمان التي وضعتها لك، وهي نقد العلاقة الكائنة بين الكاتب وإنشائه، الموازنة، نقد القائل، نقد القول، نقد المقول فيه والمصنوع، نقد الزمان، نقد المكان، بتّ الحكم "٥٧

يأخذ الحمصي في قراءة هذه الرسالة في إطار هذه القواعد ليصل نتائجه النقدية،قاصداً من ذلك

تطبيق المنهج الذي دعا إليه في كتابه،وهو المنهج التاريخي، فيبدأ من القاعدة الأولى،نقد العلاقة القائمة بين الكاتب وإنشائه، فيقول :" إن مرآة المرء إنشاؤه، فلننظر إذاً هذه المرآة لنرى صورة أبي اسحاق الصابىء، وأنت إذا قلبت في هذه الرسالة طرفك وأطلت النظر فيما فصلته منها بحسب القواعد المتقدمة، ظهر لك في هذه المرآة رجل هو آية الفصاحة وسحبانها ،وعلم البلاغة وعنوانها بل التواضع بجملته، والإباء بحليته، والإخلاص مصوراً واللطف مجسّماً، وقور النفس، راجح حصاة العقل، موزون الكلام...هذه صورة أخلاقه قد انتسختها من رسالته هذه ونشرتها بعد أن طواها العدم..."٥٨

ثم ينتقل إلى القاعدة الثانية، الموازنة، فيبين من خلالها علاقة هذه الرسالة بغيرها من إنشاء الصابىء، حتى لا تعمم أحكام جزئية على المبدع بل يحكم عليه من مجمل إنتاجه من جانب، وإنشاء الفترة التي عاش فيها الصابىء من جانب آخر من أجل ربط التقييم بما هو عام وسمة للعصر، وكما يتضح أن قراءة النص في إطار الإبداع الذاتي والإطار العام(البيئة الثقافية) الذي ظهر فيه هذا النص من أهم الأسس في المنهج التاريخي من أجل الوصول إلى السمات الفنيّة للنص،وفي هذا يقول لانسون: "...ثم نطبق تلك العمليات على الكتب الأخرى للمؤلف، وعلى المؤلفين الآخرين،ونجمع الكتب تبعاً لمابينهما من وشائج في الموضوع وفي الصياغة، وبفضل تسلسل الصياغات نضع تاريخ الفنون الأدبية "٥٩

من هذا المنطلق التاريخي في قراءة النصوص، يقرأ الحمصي رسالة الصابىء، يقول: "من طالع كتابات الصابىء تحقق أن هذه الرسالة لاتكون إلا له، فطبقته العالية في فن الإنشاء وهو أمير الكلام، ظاهرة في كل جملة من جمل الكلام وانصبابه كأنه جود السحاب،وخلوصه من التعقيد وبعده من اللفظ النافر والوحشي..." ثم ينتقل إلى موازنة الرسالة مع مثال آخر من تلك الفترة، وهي رسالة لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، حيث يعرض الرسالة ثم يعمل على تقييمها في إطار رسالة الصابىء ليصل إلى التقييم التالي "فبموازنة هذه الرسالة مع التي قبلها، يظهر تقصير كاتبها من بلوغ شأو الصابىء، ويبدو فضل الصابىء كالشمس في رائعة النهار..." ٦٠.

ينتقل بعد ذلك إلى القاعدة الثالثة، نقد القول، ويبحث فيها ما يسميه الغاية والفائدة والمحاكاة وهي ما يتضمن جماليات النص الأسلوبية التي تحدد خصوصيته وتفرده بين النصوص، يقول " بقي الكلام في جملة نقد القول وقد عرفنا مما سبق بسطه،أننا إذا رمنا الوصول إلى نقد القول بأمان، وجب علينا أن ننزه النفس عن الغرض، وننحو شرف الغاية وسلامة الطبع والقصد، فإذا نظرنا في كلام الصابىء، وجدناه من الفصاحة في المقام الأرفع، ومن الجزالة والسلاسة في الطبقة العالية،ومن الرصانة وسلامة التراكيب، في ميدان قد امتاز به وانفرد، ورأيناه في انتخاب الألفاظ اللائقة بالمعاني،في مضمار لا يجارى فيه،وفي تنسيق الكلام ورصفه،وبراعة المطالع، وحسن الدخول، باستخدامه المعاني التي تتناسب والأغراض..."٦١.

لعل المتمعن في هذا الكلام يرى الناقد يقرأ جماليات النص ويبحث عن المواءمة بين الشكل

والمضمون، ويعمل على بيان القيم العقلية والفنية الواردة في النص للوصول إلى خصوصيّة المبدع، ومن المؤكد أن الناقد التاريخي لا يهمل هذا الجانب في دراسته النصوص، ولعل ما يقوم به الحمصي يستحضر ما قاله لانسون في البند السابع من خصائص المنهج التاريخي، حيث يقول: " وبعد ذلك نقيم المعنى الأدبي للنص، أي نحدد ما فيه من قيم عقلية، وفنية، ونميز استعمال الكاتب الشخصي للغة من الاستعمال السائد بين معاصريه، والحالات النفسية التي ينفرد بها من الصيغ العامة للإحساس والتفكير،كما نستخلص ما يرقد تحت التعبير العام المنطقي من أفكار وصور، وآراء أخلاقية، واجتماعية، وفلسفيّة، ودينية، لم يشعر المؤلف بالحاجة إلى التعبير عنها، وإن كانت الأساس الدفين لحياته العقلية، وذلك لأنه كان يفهمها في نفسه كما كان الغير يفهمونها عنه دون الحاجة إلى التصريح بها "٦٢

أما القاعدة الرابعة وهي نقد القائل فيبحث فيها الحمصي الحالة النفسية التي كان يعيشها الصابىء، وسنه، حيث يرى إن لذلك أثراً في طبيعة الإبداع ومميزاته الاسلوبيه يقول :" وإذا تبصرت بعض عبارات هذه الرسالة، وقفت على سن الكاتب والمكاتَب...فإنه يستشف من هذا لكلام،أن الصاحب كان في الكهولة،مالكاً تمام قوته ونشاطه... ويظهر لمن أنعم النظر في هذه الرسالة، أن كاتبها كان في غاية القلق ونهاية الغم عند كتابتها،فانظر كيف ابتدأ كتابه بالاعتذار والتلطف في العتاب ثم كيف انتقل إلى الثناء..."٦٣

ينتقل بعد ذلك الحمصي إلى القاعدة الخامسة وهي نقد المقول فيه فيبحث عن شخصية الذي وجهت له الرسالة وهو الصاحب بن عباد، فيدرس هذه الشخصية من خلال الرسالة التي كتبها له الصابىء، ويقرأ الجمل وما تحمله من معان ودلالات، باعتبار الرسالة(النص) وثيقة تاريخيّة تحمل في ثناياها حركة الواقع وأحداثه الحقيقية، وهذا كما يعرف هو ديدن المنهج التاريخي في رؤيته لدور النص وما يؤديه من هدف للدارس،في معرفة الواقع التاريخي والواقع الثقافي، فيجعل التاريخ مصدر إضاءة على النص،والنص اختزاناً للواقع في جانبي الشكل والمضمون من هنا يصل الحمصي إلى القول : " وهذا ما سبق ذكره يدلك على أن الاستنتاج بكرم أصل الصاحب من نفس الرسالة المنقودة،هو استنتاج صحيح، فإن لم يقنعك ذلك، أولم يكفك، فعليك بالتأريخ،تؤيد به برهانك..."٦٤

أما القاعدة السادسة وهي نقد الزمان، فتحدث الحمصي عن أحوال الفترة التي كتب أبو اسحاق الصابىء فيها رسالته، وما كان يقع فيها من أحداث وأخلاق، ليصل إلى القول :" ثم إن الناقد يعلم من هذه الرسالة، إذا جرى على قاعدة حكم الزمان باحثاً منقباً أن أولئك الوزراء أو الولاة، كانوا لدن نصبهم، يتعهدون للخليفة أو للممالك بمال وافر يؤدونه له بعد استلامهم زمام الأحكام في الولايات... وإذا تبصرت إنشاء هذه الرسالة علمت منها أن هذا كان مذهبهم في الكتابة لذلك العهد، خصوصاً في العراق، إذ كما ذكرت لك فيما سبق، لكل عصر بل لكل قطر طريقة في الانتشاء يألفها أهله حقبة من الدهر "٦٥

Jerash for Research and Studies Journal ???? ??? ?????? ?????????, Vol. 9 [2008], Iss. 1, Art. 1

أما قاعدة نقد المكان وهي القاعدة السابعة فقد بحث فيها ولادة الصابىء وبيئتة وموقع بلده الجغرافي، ثم يتوقف عند أهم ملامح حياته، وأخلاقه،وصفات المكان الذي ولد فيه وهو (حران)، وبيئته وهي بغداد، يقول : " أما بيئته فقد شب في بغداد، ودرس فيها وتأدب على العلماء الكثيرين الذين كانوا فيها لعهده... أما موقع حرّان هذه فبين سروج والرقة وهي من بلاد الجزيرة، وقد عدها صاحب نزهة المشتاق من البلاد الشامية، وقال في موسوعات العلوم الكبيرة الفرنسوية: حران كانت مدينة واقعة فيما بين النهرين، وكانت في القرون المتوسطة محط ديانة الصابئة التي عطلها الخلفاء العباسيون لاعتقادهم أنها كفر : وهواء أكثر بلاد الجزيرة طيب معتدل وتربتها جيدة جداً "٦٦

لا يخفى على الدارس أن البحث عن صورة المكان بهذه الدقة المنهجية والمعرفية، وتوظيف ذلك في الوصول إلى النتائج المرجوة من البحث ودراسة النصوص هو من صلب المنهج التاريخي وصورته الحقيقية في التوظيف لدى قسطاكي الحمصي.

أما المرحلة الأخير في المنهج التاريخي وهي مرحلة التصنيف والتبويب التي تكتمل فيها صورة المنهج العلمية كما حددها لانسون بقوله : " إن عمليتنا الأساسية تتلخص في معرفة النصوص الأدبية ومقارنتها بعضها ببعض، لنميز الفردي من الجماعي والأصيل من التقليدي، وجمعها في مدارس وأفكار وحركات.ثم تجديد العلاقة بين هذه المجموعات وبين الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية "٦٧،فقد سمّاها الحمصي قاعدة الحكم فعمد إلى تصنيف صورة الصابىء الأدبية وبيان مكانته من أقرانه وعصره، فيقول: "أن منزلة الصابىء بين ملوك الكلام، وأمراء الكتابة والترسل، وفرسان القرائح والشعر فوق أن يبت فيها حكم"٦٨

وبعد، لقد حاولت هذه الدراسة بما قدمت أن تبين مدى الدور الذي قام به قسطاكي الحمصي في مسيرة الخطاب النقدي العربي الحديث، من حيث التحوّل في طبيعة هذا الخطاب والتوجه به نحو الخطاب النقدي الأوروبي، ومحاولة استرفاد المناهج النقدية، ومنها التاريخي الذي عمل الحمصي على توظيفه في الدراسات النقدية التي قدمها في كتابه، وحاول أيضا أن يبين ما لهذا المنهج من أسس ومنطلقات فلسفية، من خلال المرجعية الأوروبية التي صدر عنها هذا المنهج على أيدي مجموعة من الفلاسفة والمفكرين الذين مرّ ذكرهم في متن الدراسة ربما يكون ما قدمه الحمصي يعتريه الخلط وعدم التنظيم في تقديم المعلومة، لكنه يبقى السابق في إثارة هذه القضايا و الموضوعات المنهجية التي كان النقد العربي الحديث بحاجة إليها، ويسجل له هذا السبق في المنهجية قبل غيره، وقد أشار الدكتور جابر عصفور إلى هذا السبق في دراسته القيمة لنقد طه حسين (المرايا المتجاورة) عندما قال : " كانت كتابات (تين) و(سانت بيف) معروفة للقارئ العربي قبل انتظام طه حسين طالباً في الجامعة المصرية، فلقد تحدث مجموعة من مثقفي الشام، ونقاده عن هذين الناقدين، وغيرهما منذ بداية هذا القرن، وهذا قسطاكي الحمصي على سبيل المثال يذكر في كتابه (منهل الوراد في علم الانتقاد) ١٩٠٧

نقد سنت بيف الذي كان له ـ فيما يقول يد بيضاء يذكرها له التاريخ (...) وقد أشاد الحمصي كذلك بنقد (تين) الذي وسع – فيما يقول – النقد وأوضح حدوده."٦٩

بهذا،يرى الدارس الحالي، أنه قد أضاف شيئاً، إلى ما قدمته دراسات سابقه من جهود هذا الناقد،في مسيرة النقد العربي الحديث، التي لم تبحث دوره كرائد ومؤسس للمنهج التاريخي في النقد العربي الحديث، بل بحثت دوره في إطار التقديم والتهيئة لأعلام آخرين، أشارت إليهم الدراسة في متنها، وربما يعود سبب هذا التجاهل إلى أن هذا الناقد لم يكن أكاديمياً،حتى يتسنى لآرائه أن تنتشر ويهتمّ بها وبتأريخها، بالاضافة إلى عدم انخراطه بالبيئة الثقافية في مصر في تلك الفترة، باعتبار مصر هي نافذة الشهرة في الثقافة العربية، ويضاف إلى ذلك أن لكل جديد رهبة وتوجساً.

المصادر والمراجع

١. أنطون، (فرح)، المؤلفات الروائية،قدم لها. د. أدونيس العكرة، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٧٩

٢. البستاني، (سليمان)، إلياذة هوميروس، دار المعرفة، بيروت، المجلد الأول، دون تاريخ

٣. التوجي، (محمد)، قسطاكي الحمصي، شاعراً وناقداً وأديباً، دار الأنوار، بيروت،لبنان،١٩٦٩

٤. التونسي، (خير الدين)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، الترجمة الفرنسية، باريس، ١٨٦٨

٥. حسين، (طه)، من تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، طبعة ٣،بيروت، ثلاث مجلدات، ١٩٧٩

٦. الحسيني، (إسحاق موسى)، النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين، محاضرات ألقاها على طلبة قسم البحوث والدراسات الأدبية، ١٩٦٧

٧. الحمصي، (قسطاكي)، منهل الوراد في علم الانتقاد، ثلاثة أجزاء، الأول والثاني، مطبعة الأخبار، القاهرة، والجزء الثالث، مطبعة العصر الجديد، حلب

٨. حنون، (عبد المجيد)، اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٦

٩. الخالدي، (محمد روحي)، تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوكو، تقديم، حسام الخطيب، دمشق الطبعة الرابعة، ١٩٨٤

١٠. الخطيب، (محمد كامل)، كتاب الإصلاح والنهضة،القسم الأول، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٢

١١. خليل،(جبران)، المجموعة الكاملة، تقديم جميل جبر، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ

١٢. الدسوقي، (عمر)، في الأدب العربي الحديث، دار الفكر، بيروت، الطبعة السابعة

١٣. شيخو، (لويس)، الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٩٢٤

١٤. دياب،(عبد الحي)، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩

١٥. الزر كلي (خير الدين)، الأعلام، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠

١٦. زيدان، (جو رجي)، تاريخ آداب العربيّة، أربعة أجزاء، مطبعة الهلال، ١٩٥٧

١٧. الشدياق،(أحمد فارس)، كشف المخبأ عن فنون أوروبا، قسطنطينيّة، مطبعة الجو ائب، الطبعة الثالثة، ١٢٩٩هـ

١٨. الشميل (شبلي)، مباحث علميّة واجتماعيّة، دار نظير عبود، طبعة جديدة، ١٩٩١

١٩. الشيح ،(خليل)، دوائر المقارنة، دراسات نقدية في العلاقة بين الذات والآخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٠

٢٠. ضيف، (أحمد)، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، القاهرة، مطبعة السفور، الطبعة الأولى، ١٩٢١

٢١. الطهطاوي (رفاعة رافع)، تخليص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم مهدي علاّم وآخرون، الهيئة المصريّة العامة للكتاب ١٩٩٣

٢٢. عبود، (شلتاغ)، الأدب والصراع الحضاري، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥

٢٣. فتح الله، (حمزة)، المواهب الفتحيّة في علوم العربية، جزآن، المطبعة الأميرية، بمصر، الطبعة الأولى، ١٣١٢ هج

٢٤. العرود، (أحمد)، تحول الخطاب النثري في عصر النهضة، ١٧٧٦-١٩١٢، دار الروزنا، اربد، الأردن ٢٠٠٥.

٢٥. عصفور، (جابر)، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، دار الشؤون الثقافيّة العامة، بغداد، ١٩٩٠

٢٦. فيصل، (شكري)، منهج الدراسات الأدبيّة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣

٢٧. كرم، (أنطون)، ملامح الأدب العربي الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠

٢٨. الكواكبي، (عبد الرحمن)، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥

٢٩. مبارك، (علي)، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق، محمّد عمارة، الدار العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩

٣٠. محمد عياد (شكري) المذاهب الأدبيّة والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة، ١٧٧

٣١. المراش، (فرنسيس فتح الله) غابة الحق، طبع في حلب، ١٨٦٥

٣٢. المراش، (فرنسيس فتح الله) رحلة باريس، طبع بالمطبعة الشرقية، بيروت، ١٨٧٦

٣٣. مرزوق، (حلمي)، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣

٣٤. المر صفي(حسين)، الوسيلة الأدبيّة، جزآن، تحقيق وتقديم، عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصريّة للكتاب، ١٩٩١

٣٥. مندور، (محمد)، النقد المنهجي عند العرب، ومعه، منهج البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الأستاذين لانسون وماييه، ار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٦١

٣٦. المويلحي، (محمد)، حديث عيسى بن هشام، أو فترة من الزمن، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٢

الدوريات

١ - مجلّة الكلمة، حلب، السنة، ١٦، ١٩٤١، العدد، ٧-٩

٢ - مجلّة دراسات، الجامعة الأردنيّة، المجلّد الثاني عشر، العدد، الثامن، ١٩٨٥

٣ - مجلّة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويّات، المجلد الخامس، العدد الثاني، ١٩٨٧

الهوامش

١ محمد كامل الخطيب، الإصلاح والنهضة، القسم الأول، وزارة الثقافة، سوريا، دمشق،١٩٩٢، ص٧

٢ خير الدين الزر كلي، الأعلام، المجلد الخامس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ٩، ١٩٩٠

للمزيد حول ترجمة الحمصي ينظر :

١. جو رجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، ١٩٥٧،ج٤، ص٢٧٨

٢. لويس شيخو، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت،١٩٢٤ ج٢، ص١٤٨، ج٣، ص، ١٧٠

(٣) قسطاكي الحمصي، منهل الوراد في علم الانتقاد، مطبعة الأخبار بمصر ١٩٠٧، ج١، ص ١-٩.

(٤) المرجع السابق، ج١، ص ١١-١٣٣.

(٥) المرجع السابق، ج١، ص ١٣٤-٢٠١.

(٦) المرجع السابق، ج٢ ص ٢-٨٣.

(٧) المرجع السابق، ج٢، ٨٣-٢١٤.

(٨) المرجع السابق، ج ٢،٢١٤-٢٤٩.

* (بناء على هذه الدراسة، رأى بعض النقاد أن الحمصي كان منهجه مقارناً منهم:

سامي الكيّالي : رسالة المعري وألعوبة دانتي في ميزان الحمصي، مجلّة الكلمة، حلب، السنة، ١٦، ضمن العدد، ٧ - ٩

د. حسام الخطيب، انظر : مقدمة كتاب "تاريخ علم الأدب، مرجع سابق، ص ١٣.

د. يوسف أبو العدوس، نموذج مبكر للنقد الأدبي المقارن في الثقافة العربية المعاصرة : قراءة لكتاب قسطاكي الحمصي "منهل الوراد في علم الانتقاد" مجلة أبحاث اليرموك،سلسلة الآداب واللغويّات، م٥،ع٢ ص٣٥ -٩٦، ١٩٨٧

د. خليل الشيخ، دوائر المقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٩٤-٩٥.

للمزيد حول ما قدمه الحمصي في دراسته المقارنة بين دانتي والمعري، وما يتعلق بها من ايجابيات و سلبيّات، انظر : الجزء الخاص بها من الدراسة التي قدمها الدكتور يوسف أبو العدوس، ص ٦٣ -٨٤ ن وقد أشير للدراسة سابقاً

(٩) إسحاق موسى الحسيني، النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين،محاضرات ألقاها على طلبة قسم البحوث والدراسات الأدبية ١٩٦٧، ص ٧٧.

وانظر: محمد التنوجي، قسطا كي الحمصي شاعراً وناقداً وأديباً، بيروت، لبنان "١٩٦٩، ص ٤٩.

وانظر : حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٩٨.

وانظر : عبد الحي دياب، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩، ص٩٦.

(١٠) شكري محمد عياد، المذهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، عالم المعرفة "١٧٧" ص٨٦.

وانظر : عبد المجيد حنون، اللانسونية وأثرها في رواد النقد العربي الحديث، الهيئة المصرية

للكتاب. ١٩٩٦. ص٤٢-٤٣.

١١ د. عبد الله الشّحام، قسطاكي الحمصي ناقداً، مجلّة دراسات ن الجامعة الأردنيّة، م ١٢، ع ٨ ن ص ١٦٢

(١٢) قسطاكي الحمصي، منهل الوراد، في علم الانتقاد، ج١، ص ٣.

(١٣) المرجع السابق، ج١، ص ٦-٧.

* (يحدد عصر النهضة العربية في الغالب بحملة نابليون على مصر "١٧٩٨-١٨٠١" ويرى البعض أن عصر النهضة العربية بدأ بدخول المطبعة لبنان " ١٧٧٦".

١٤ منهل الوراد، مرجع سابق ج١،ص٦٦-٦٧

١٥ المرجع السابق، ج١ص٧٦

(١٦) للمزيد انظر: انطون كرم، ملامح الأدب العربي الحديث، دار النهار للنشر بيروت، ١٩٨٠.

(١٧) روحي الخالدي، تاريخ علم الأدب، مرجع سابق ص ٣.

(١٨) المرجع السابق، ج١، ص ١٢٢ للمزيد، انظر الصفحات: ٩٥-٩٧.

(١٩) اللانسونية، مرجع سابق، ص ٩١.

(٢٠) منهل الوارد، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٠-٣١.

(٢١) المرجع السابق، ج١، ص ١٣٤.

(٢٢) المرجع السابق، ج١، ص ٨٥-١٩٥.

(٢٣) المرجع السابق، ج١، ص ٤-٥.

(٢٤) المرجع السابق، ج٢، ص ٨٥.

(٢٥) المرجع السابق، ج١، ص ١٠-١١.

(٢٦) المرجع السابق، ج٣، ص ١٤٣.

(٢٧) النقد المنهجي عند العرب،دار نهضة مصر،القاهرة،١٩٦١ ص ٤١٤.

(٢٨) المرجع السابق، ج١، ص ٩٧.

(٢٩) طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٨م، م١، ص ١١.

(٣٠) حول جهود حسين المرصفي النقدية انظر: شكري فيصل، منهج الدراسات الأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.

(٣١) حول آراء حمزة فتح الله، انظر: شلتاغ عبود الأدب والصراع الحضاري، دار المعرفة، طبعة أولى، ١٩٩٥

(٣٢) حول آراء اليازجي، انظر: عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث، الطبعة السابعة، دار الفكر العربي.

(٣٣) أحمد العرود، تحول الخطاب النثري في عصر النهضة، ١٧٧٦ - ١٩١٢، دار الروزنا، اربد، ٢٠٠٥.

* فمن نقد المرصفي مثلاً في "الوسيلة الأدبيّة" يقول: "قال الهيثم بن عدي أحد علماء الأدب في الصدر الأول: كنا عند صالح بن حسّان، فقال: أنشدوني أحسن بيت في تشبيه الثريّا، فقال: بيت عبد الله بن الزبير كأمير من شعراء بني أميّة:

وقد لاح في الغور الثريّا به راية بيضاء تخفق للطعن

فقال صالح : أريد أحسن من هذا، فقيل : بيت امرئ القيس

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرّض أثناء الوشاح المفصّل

فقال : أريد أحسن من هذا، فقيل بيت ابن الطثريّة :

إذا ما الثريّا في السماء كأنها جمان وهي من سلكه فتسرّعا

فقال : أريد أحسن من هذا، فقال الحاضرون : ما عندنا من شيء

فقال صالح : بيت أبي قيس الأسلت :

وقد لاح في الصبح الثريّا لمن رأى كعنقود مُلاّحيّة حين نوّرا

فهؤلاء من شعراء العرب، جاهليّان : أبو قيس، وامرئ القيس، وأمويّان : يزيد ابن الطثريّة، وعبد الله بن الزبير.

وإنما كان تشبيه ابن الأسلت أحسن، لكونه تضمن جميع أحوال النجم من شكل المجموع وشكل الأجزاء، ومقاديرها في رأي العين وهيأتها وقرارها في موضوعها، فقد أمعن النظر قبل التشبيه، ولذلك افتخر بقوله: لمن رأى، فليست حشواً، والملاحيّة بضم الميم وتخفيف اللام أو تشديدها - نوع من العنب الأبيض، حبه طويل، وامرؤ القيس فاته بعض ذلك، اشتمال بيته على ما ليس له دخل في التشبيه، فإن ملخص لفظ التشبيه : الثريّا كقطعة من وشاح مفصّل، وفي بيت ابن الطثريّة الحركة في المشبه به، مفسدة للتشبيه، وأنزل هذا التشبيه، تشبيه ابن الزبير..." (حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية، ج٢ ن تحقيق، عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩١، ص٣٣.

أما نقد حمزة فتح الله في كتابه " المواهب الفتحيّة " فلا يختلف عن المرصفي، في الأسلوب اللغوي، والنحوي، والصرفي، والبلاغي، في قراءة النص، وقد شرح في كتابه هذا، عشر قصائد، اعتمد في شرحها البحث عن المعنى المعجمي والنحوي والصرفي والبياني، ولعل، هذا النموذج يوضح ذلك، فقد قال في شرحه، قصيدة امرئ القيس التي مطلعها :

ألا عم صباحاً ايّها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

" قوله عم صباحاً، أي أنعم، والطلل ما شخص من آثار الديار، وأعصر بضمتين لغة في لعصر، والخالي الماضي، و المخلّد، إما من خلد اللازم، أي أبطأ عنه الشيب، أو خلد الصبي، سوّره أي ألبسه السوار... " ويستمر حمزة فتح الله في أسلوبه هذا في قراءته كل النصوص التي اختارها. للمزيد ارجع إلى" حمزة فتح الله، المواهب الفتحيّة في علوم العربيّة، ط١، المطبعة الأميريّة، بمصر،١٣١٢هج، ج١، ص ٩٨

(٣٤) المرجع السابق، ج٢، ص ٢١٤-٢٢٤.

(٣٥) المرجع السابق، ج٣، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣٦) المرجع السابق، ج٢، ص ٢١٥.

(٣٧) المرجع السابق، ج، ص ٦٦,

(٣٨) المرجع السابق، ج١، ص ٧٠.

(٣٩) المرجع السابق، ج١ ص٨٨.

(٤٠) المرجع السابق،ج١،ص١٢٠-١٢١

(٤١) النقد المنهجي عند العرب لمحمد مندور، مرجع سابق، ص ٤١٣.

(الشرح، والتبويب، والحكم، هي المصطلحات التي وظفها الحمصي كقواعد للعملية النقدية.

(٤٢) اللانسونية، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٤٣) منهل الوارد، ج٣، ص ١٨-١٩.

(٤٤) النقد المنهجي عند العرب، مرجع سابق، ص ٤٠٠.

(٤٥) المرجع السابق، ج٢ ص ١٠٥، ونظر، ج١، ص ١٥٩-١٦٩.

(٤٦) المرجع السابق، ج٢ ص ١١٠-١١٣، للمزيد انظر : ص ١١٥-١٢٩.

(٤٧) المرجع السابق، ج١، ص ١٤١-١٥١.

٤٨ المرجع السابق، ج١ ص١٤١

(٤٩) المرجع السابق،ج٢ ص ١٣٩-١٩٥.

٥٠ المرجع السابق،ج١،ص٣٤٠

٥١ المرجع السابق، ج١، ص٢٣٦-٢٤٤

(٥٢) المرجع السابق، ج١، ص ١٤٨-١٥١.

(٥٣) المرجع السابق، ج٢، ص ١٣٩-١٥٧.

(٥٤) المرجع السابق، ج١، ص ١٣٥-١٤٠.

(يقصد بها التطبيق، وقد شغلت الصفحات ٢٥٠-٢٩١ من الجزء الثاني من كتاب منهل الوراد

(٥٥) المرجع السابق،ج٢، ص٢٥٢- ٢٥٣

(٥٦) المرجع السابق،ج٢، ص ٢٥٣- ٢٥٨

(٥٧) المرجع السابق ج٢،ص ٢٥٨

(٥٨) المرجع السابق، ج٢،٢٥٨-٢٥٩

(٥٩) النقد المنهجي عند العرب، مرجع سابق، ص٤١٢

(٦٠) المرجع السابق، ج٢، ص٢٦١-٢٦٨

(٦١) المرجع السابق، ج٢ ص٢٦٩-٢٧٣

(٦٢) النقد المنهجي عند العرب، مرجع سابق، ص٤١٠-٤١١

(٦٣) منهل الو راد، مرجع سابق، ج٢ ٢٧٣-٢٨٣

(٦٤) المرجع السابق،ج٢ ص٢٨٥

(٦٥) المرجع السابق،ج٢، ص٢٨٥-٢٨٧

(٦٦) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٨٧-٢٨٩

(٦٧) النقد المنهجي عند العرب،مرجع سابق، ص٤٩٠

(٦٨) منهل الوراد، مرجع سابق، ج٢ ص٢٨٩

(٦٩) جابر عصفور، المرايا المتجاورة، دراسة في نقد طه حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠، ص٦٢-٦٣